

الآب هو الله

مع أننا في بداية الفصل الثالث إلا أنني يجب أن أقول شيئاً عن الفصل الرابع، ففيه سنرى أن الرب يسوع المسيح هو الله، ومع ذلك عندما علم تلاميذه أن يصلوا للآب لم يدعهم أن يصلوا له، فقد قال: "فصلوا انتم هكذا أبانا...." (مت 6 : 9). إن الصلاة لله لا توجّه للرب يسوع المسيح ولكن توجّه للآب. فهناك الواحد الذي هو الله – لكنه ليس الرب يسوع المسيح – والذي يحمل اسم الآب. ولكن قبل أن نستطرد في هذا الأمر يجب أن نلاحظ أن الوحي المقدس لا يستخدم كلمة "الآب" دائماً بنفس الطريقة.

هو الآب لكل :

إن كلمة "الآب" أحياناً لا يقتصر استخدامها للتعبير عن أقنوم محدد في اللاهوت، غير الابن والروح القدس، لكنها تستخدم للتعبير عن الألوهية ذاتها. والآن نستعرض بعض الأمثلة التي توضح ذلك. فعندما يكتب بولس إلى المسيحيين في كورنثوس، فهو يذكرهم بأن الأوثان التي تحيط بهم ليست آلهة حقيقية على الإطلاق، ومع أن هذا ليس هو ما يؤمن به عابدي الأوثان، ولكن هذه هي الحقيقة. إن الأوثان لا تمثل آلهة لها وجود حقيقي؛ لأنه يوجد فقط إله واحد له وجود حقيقي، هو ذلك الإله الذي يعبده المسيحيون. لذلك فهو يكتب لهم: "لكن لنا إله واحد الآب" (1كو 8 : 6). إن كلمة "الآب" هنا تعادل في معناها كلمة "إله واحد". إن الرسول بولس يقول هنا إنه: لا يوجد سوى إله واحد، ولا يفكر مطلقاً في الأقانيم المختلفة لهذا الإله، ومن هذا المنطلق يستخدم لفظ "الآب" كما استخدمه في (أف 4 : 6)، حيث يكتب عن "إله وآب واحد لكل".

إن كاتب رسالة العبرانيين فعل شيئاً مماثلاً في الأصحاح الثاني عشر والعدد التاسع، فهو يشرح لهم أن الله يعامل المؤمنين المسيحيين كأولاده، فكما يؤدب الآب أبناءه فقط، هكذا يؤدب الله أبناءه المؤمنين عن طريق اختبارات غير مرغوبة لكي يقوم شخصياتهم. هذه الاختبارات لا يجب أن نرفضها بل أن نقبلها، ولا يجب أن تقلل

هذه الاختبارات من تعلقنا بالله، بل بالحري تزيده، "ثم قد كان لنا آباء أجسادنا مؤدبين وكنا نهايهم. أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فحياً" (عب12 : 9). هنا أيضاً نجده يستخدم لفظ "الأب" ليشير إلى الله، وليس كأقنوم في اللاهوت. وهذا بالضبط ما استخدمه يعقوب عندما كتب: "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار" (يع1 : 17).

أبو إسرائيل :

إن كلمة "الأب" تستخدم أيضاً للتعبير عن حقيقة أن الله كان لشعب بني إسرائيل - في العهد القديم - بمثابة الحاكم والرئيس: "الرب ... أليس هو أبك ومقتنيك؟" (تث32 : 6). إن كلمة "الأب" هنا استخدمت كاسم بديل للإله الواحد، دون أن يقصد بها أقنوم بذاته، من أقانيم اللاهوت. كذلك صلى اشعيا قائلاً: "فانك أنت أبونا... ولئينا.... والآن يا رب أنت أبونا. نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك" (اش63 : 16 ، 64 : 8).

ولم يكن لكل شعب بني إسرائيل في العهد القديم هذه الثقة بالله، لذلك ففي أيام إرميا يقول الله لهم من خلال النبي: "ألست من الآن تدعيني يا أبي أليف صباي أنت؟" (أر3 : 4). وبعد ذلك في أزمنة لاحقة كان كل إسرائيلي يتحدث عن الله على أنه هو أبو الأمة، حتى وإن لم يكن يمارس هذا الاعتراف في حياته العملية. فلم يقدم شعب بني إسرائيل لله الإكرام اللائق به، ولم يتعاملوا مع بعضهم البعض كأخوة. وفي ذلك الوقت كان توبيخ الله لهم: "فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي؟ أليس أب واحد لكننا؟ أليس إله واحد خلقنا؟ فلم نغدر الرجل بأخيه؟" (ملا1 : 6 ، 2 : 10).

أبو المؤمنين :

في الوقت الذي جاء فيه الرب يسوع المسيح، كان اليهود معتادين على استخدام كلمة "الأب" كبديل للفظ "إله"، فكانوا يعلمون أن اليهود وحدهم هم أبناء الله؛ لذلك كان على الرب يسوع هو ورسله تصحيح هذا الاعتقاد الخاطئ. فليس كل الناس بالضرورة أبناء الله، ولا كل اليهود أبناء الله. إن هذا الامتياز يخص كل الذين يتوبون ويؤمنون ببشارة الإنجيل. انهم فقط الذين يتمتعون بعلاقة حميمة مع الله، ويستمتعون

بالراحة في ظل عنايته. إن هؤلاء الناس وليس اليهود، هم إسرائيل الحقيقي، الذين يعترف بهم الله. هم فقط المؤهلون لأن يدعوا الله أباهم.

ولقد تحدث الرب يسوع إلى تلاميذه فقط بقوله : "أبيكم الذي في السموات" (مت 5 : 45)، ولهم وحدهم قال: "... أبوك... أباكم... أبوكم السماوي" (مت 6 : 6 ، 8 ، 14). ولقد كتب الرسول بولس في (رو 8 : 16): "إننا أولاد الله" لأولئك الذين لهم علاقة صحيحة مع الله، بالإيمان بالرب يسوع المسيح. إن دخولهم في عائلة الله بحيث يكون الله "أباهم"، لهو أرفع إمتياز، لهم وحدهم، ولا يستطيع أحد أن يشاركهم هذا الامتياز، أيًا كان. وهم فقط الذين يستطيعون أن يهتفوا بابتهاج قائلين: "انظروا آية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أولاد الله" (1يو 3 : 1).

أبو الرب يسوع المسيح :

إن الرب يسوع المسيح هو الله، كما سنرى أيضاً بعد قليل، ولكن بالرغم من أن الله هو أب للمؤمنين، لكن هذا الأب ليس هو الرب يسوع المسيح. إن الله الأب مختلف عنه. إن أبا المؤمنين هو نفسه أبو المسيح، ولكن بمفهوم مختلف. إن المؤمنين المسيحيين هم أبناء الله الأب "بالتبني"، أما المسيح فهو الابن الأزلي الأبدي للأب. فلماذا قال المسيح لمريم: "اني أصعد لأبي وأبيكم؟" (يو 20 : 17)، لماذا لم يقل "اني اصعد لأبينا؟" إن ما قاله الرب يسوع لمريم، يوضح أنه أبونا نحن والمسيح، ولكن الكلمات وُضعت بطريقة تنبّر على أن الله أب للمسيح، ولكن بطريقة تختلف عن ابوته لنا .

ويتضح لنا من إنجيل يوحنا، أنه بالرغم من أن الأب هو الله، وأن الرب يسوع المسيح هو الله إلا أن كليهما مختلف عن الآخر؛ وفي ذات الله، أحدهما هو الأب للآخر، والآخر هو الابن لذلك الأب. وفي بداية إنجيل يوحنا نقراً: "والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا مجده مجدداً كما لوحيده من الأب، مملوءاً نعمة وحقاً" (يو 1 : 14). هذا الجزء يعرفنا أن "الكلمة"، الذي هو الرب يسوع المسيح، يختلف تماماً عن الأب. أحدهما صار جسداً بينما الآخر لم يفعل. ومع ذلك فإن مجد المسيح هو نفسه

مجد الآب، لذا فلا بد أن كليهما هو الله بنفس المعنى. إن المسيح هو التعبير الكامل عن الله الآب، وهذا ما عبّر عنه يوحنا، عندما وصف المسيح بـ "الكلمة".

ونحن نقرأ: "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر" (يو 1 : 18). ولكننا من خلال الفصل السابق، عرفنا أن أناسا رأوا الله؛ فلا بد إن ما يعنيه هذا العدد، هو أن الله الآب لم يره أحد قط. وعندما رأى أناس الله، فهم قد رأوا الرب يسوع المسيح. إن الابن هو ما رآه الناس. إنه هو "ملاك الرب". إن الابن مختلف تماماً عن الآب. ولهذا وصفه يوحنا بأنه: "في حضن الآب"، ومع ذلك فإن من رآه فقد رأى الآب. فالابن هو كمال التعبير والإعلان عن الله. إن كليهما هو نفسه الله، ولكن كلا منهما يختلف عن الآخر. ومع اختلافهما هذا عن بعضهما البعض، لكنهما في نفس الوقت إله واحد حي وحقيقي. ولكننا لا يجب أن نظن أننا أغفلنا لأننا لم نر الآب؛ لأن الرب يسوع المسيح وقف أمام العالم معلناً: "أنا والآب واحد" (يو 10 : 30)، "الذي يراني يرى الذي أرسلني" (يو 12 : 45)، "الذي رأيته فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أننا الآب؟" (يو 14 : 9).

وعندما تحدّث المسيح بعبارات الألفة هذه عن الله الآب، بدأ اليهود في التخطيط لقتله (يو 5 : 17 – 30). لم يجادل أحد في حقيقة أن الآب هو الله، لكن كلمات الرب يسوع كانت تتضمّن، معادلة نفسه بالآب، أي معادلاً لله. لقد عرفوا أنه يوجد إله واحد فقط، وأن هذا الإله الواحد هو الآب. فبالرغم من النصوص الكتابية الموجودة بالعهد القديم، التي ناقشناها من قبل، فإن اليهود لم يتصوّرُوا أن الله متعدد الأقانيم. إن حقيقة تعدد الأقانيم كانت غائبة عنهم. إن ما كان واضحاً لهم هو أن المسيح يدّعي أنه مساوٍ لله، واعتقدوا من خلال ذلك أنه يدّعي أنه إله إضافي. كان ذلك بالنسبة لهم بمثابة تجديف! وهذا يفسّر السبب في أنهم أرادوا أن يقتلوه. لقد آمنوا بشدة بألوهية الآب، لدرجة أنهم لم يتخيّلوا وجود ألوهية لآخر (يو 8 : 53 – 59). لقد كانوا مُخطئين بشأن الثاني - كما سنرى بعد ذلك - لكنهم لم يكونوا مخطئين بشأن الأول (الآب هو الله).